محددات القومية في فكر ساطع الحصري وانعكاساتها على المواطنة

The determinants of nationalism in the thought of Sati' al-Husri and its implications on citizenship

الدكتور/ نور الدين حاروش[1،2]

[1] **جامعة الجزائر 3، (الجزائر)**

[2] **المؤلف المراسل:** harrouche.noureddine@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2019/07/09 تاريخ القبول للنشر: 2019/09/15 تاريخ النشر: 2019/12/28

❖❖❖❖❖❖❖

مراجعة المقال: اللغة العربية: د./ محمد كنتاوي (جامعة أدرار) اللغة الإنجليزية: أ./ سارة الناصر (الأردن)

ملخّص:

يهدف الباحث في هذه الورقة إلى تسليط الضوء على موضوعٍ غاية في الأهمية قديمًا وحديثًا، كونه لا يزال يشغل بال المفكرين والفلاسفة العرب بخاصة إلى غاية اليوم، ويتعلق الأمر بمسألة القومية العربية في فكر "ساطع الحصري" وعلاقتها بالدين والوطن والوطنية والمواطنة وتكوين الدولة.

حيث بادر بعض المفكرين العرب والمسلمين لإعادة بعث الأمة الإسلامية ونهضتها من جديد بداية من القرن التاسع عشر ميلادي، وتمثلت ملامح هذه النهضة أو لنقل: هذه اليقظة في اتجاهات فكرية متباينة، وسنركز في هذه الدراسة على الاتجاه القومي الذي تبناه ساطع الحصري بدون منازع.

الكلمات المفتاحية: ساطع الحصري؛ القومية؛ الأمة؛ اللغة؛ التاريخ؛ المواطنة.

Abstract:

This paper aims to shed light on a subject of great importance in ancient and modern times, as it still preoccupies the thought of Arab scholars and philosophers to this time . It is concerned with the issue of Arab nationalism in the thought of Sati' al-Husri, and its relation with religion, homeland, patriotism, citizenship and state building.

Some Arab and Muslim thinkers initiated the re-awakening of the Islamic Ummah from the 19th century, The features of this renaissance or of vigilance were represented in different intellectual directions, In this study, we will focus on the national trend adopted uncontestedly by Sati' al-Husri.

key words: *Sati' al-Husri, national, nation, language, history, citizenship.*

مقدّمة:

مرت الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية (سقوط بغداد على يد المغولي جورج هولاكو عام1257 م) بحالة من التراجع بدأت بانهيار الخلافة الإسلامية وتعاقب سلالات مختلفة على السلطة، تارة من الأتراك وتارة أخرى من الفرس، لحكم بلاد المسلمين، لكن هذه الحالة لم تكن ثابتة ومستقرة بحيث سرعان ما اهتزت أركانها مع بداية القرن الرابع عشر ميلادي لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ووصولا إلى سقوط غرناطة عام اثنين وتسعين وأربعمائة وألف (1492 م) معلنا بذلك نهاية عصر الخلافة الإسلامية الذهبي.

بعدها حاولت الخلافة العثمانية إعادة بعث مجد الأمة الإسلامية بداية من العام السادس عشر بعد خمسمائة وألف (1516) كما حاولت المحافظة على هذا الدور، لكن دوام الحال من المحال ؛ فقد مثلت فترة أواخر عهد الخلافة العثمانية أكثر المراحل سوادًا في تاريخها وتاريخ الأمة الإسلامية لأنها قامت على العنصرية مما أدى بها إلى تدمير الهوية الأم (الإسلامية) في دينها ولغتها وتاريخها، ومهدت هذه الأحداث لوقع البلاد الإسلامية تحت نفوذ الاستعمار الأوربي، حينها بادرت بعض الأفكار من هنا وهناك كمحاولة لإعادة بعث الأمة الإسلامية ونهضتها من جديد وذلك بداية من القرن التاسع عشر ميلادي، هذه النهضة أو قل: هذه اليقظة تمثلت في العديد من الاتجاهات الفكرية، منها الاتجاه الليبرالي والاتجاه الثوري والاتجاه الإصلاحي وفي الأخير الاتجاه القومي الذي يمثله ساطع الحصري.

ويعدّ "ساطع الحصري" الملقب بـ أبو خلدون، أهم منظري القومية العربية، وأبرز فلاسفتها، حيث حمل لواء القومية العربية فكرا وممارسة، ويتضح ذلك من خلال المؤلفات والمناهج المدرسية التي تناولت كلها القومية العربية من جوانبها المتعددة، السياسية والاجتماعية والفكرية وحتى النضالية، ومنه أطلق عليه لقب " رائد الوحدة الثقافية العربية".

أعجب الحصري كثيرا بالفيلسوف الألماني فيختة الذي يرى بأن اللغة أساس القومية، مستدلًا على ذلك بالتجربة الألمانية في الوحدة بعد التجزئة، ثم قيام الوحدة الايطالية والبولونية وغيرها من الدول التي كانت مجزأة ومنقسمة ثم توحدت بفضل اللغة، وبالمقابل **كيف** انحلت الإمبراطوريتين العثمانية والنمساوية وزالتا نتيجة اختلاف لغات الشعوب التي كانت تابعة لها.

ويؤكد الحصري أن العامل الثاني للقومية يكمن "في وحدة التاريخ لا في وحدة الأصل"، وأكد في مؤلفاته العديدة أن هذين العاملين (اللغة والتاريخ) هما المرتكز الرئيسي للقومية العربية ووحدة الأمة العربية، متجاهلا بذلك الدين كعنصر من عناصر القومية وهو ما خلق له العديد من الأعداء وبخاصة دعاة الرابطة الإسلامية، ودخل معهم في تناقضات فكرية كبيرة.

ومنه يمكن أن نتساءل عن الدافع الحقيقي الذي جعل الحصري يركز على اللغة والتاريخ دون غيرهما من العناصر الأساسية والمباشرة في تشكيل وبناء القومية وليس الدين، خاصة وأن اهتمامه العلمي والفكري ينصب على القومية العربية التي يعتبر الدين أهم رابط يجمع شعوبها؟ وعليه نحاول من

خلال هذا الاتجاه الفكري طرح تساؤل آخر: هل الظروف التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية سبب تركيز ساطع الحصري على عنصري اللغة والتاريخ كأساس القومية، أم يعود السبب لتأثره بالتجارب الغربية؟

لمعالجة هذا الموضوع ارتأينا التركيز على المحاور التالية:

1- ماهية القومية عند الحصري والنظريات المفسرة لها.

2- القومية والدين والوطنية في البلاد العربية حسب ساطع الحصري.

3- العناصر المباشرة وغير المباشرة التي تكون القومية وتؤلف الدولة.

4- انعكاس عناصر القومية (الأمة) على المواطنة.

5- نقد فكرة القومية عند الحصري.

المحور الأول

ماهية القومية عند الحصري والنظريات المفسرة لها

لا يمكن فهم أفكار أي مفكر أو فيلسوف واتجاهاته إلا من خلال معرفة مولده ونشأته ودراسة البيئة التي ترعرع فيها لأن الإنسان ابن بيئته، ولا شك أن للبيئة تأثير كبير وواضح على توجه الباحث أو المفكر، لذلك فمن الصواب الإشارة إلى مولد ساطع الحصري ونشأته وإنتاجه العلمي.

فهو من مواليد صنعاء باليمن عام 1879 من عائلة عربية الأصل وبالضبط من الحجاز، قدم إلى حلب بسوريا، عمل في السلك الإداري خلال الخلافة العثمانية ودرس نشوء القوميات البلقانية قبل الحرب العالمية الأولى، كونه عاملا في البلقان، تقلد وزارة المعارف خلال حكم الملك فيصل الأول بدمشق كما خرج من سوريا مع الملك فيصل الأول والتحق به بعد ذلك في العراق حيث تولى شؤون المعارف والثقافة هناك، جرد من جنسيته العراقية واخرج من العراق عام 1941 وذلك لتأييده للجانب العراقي في الحرب العراقية البريطانية. كما عمل مستشارا للجنة الثقافية في جامعة الدول العربية و أسس معهد الدراسات العربية العالمية في القاهرة عام 1953 وأصبح مديرا له والذي سمي فيما بعد بمعهد البحوث والدراسات العربية والذي لا يزال إلى اليوم وهو تابع لجامعة الدول العربية، توفي في بغداد عام 1968 عن عمر يناهز 89 سنة.

له العديد من المؤلفات القومية وعددها سبعة عشر، قام مركز دراسات الوحدة العربية بطبعها سنة 1985، بحيث تم جمعها في ثلاثة أقسام حملت عنوان " الأعمال القومية لساطع الحصري"، له كذلك عدة مؤلفات حول الوطنية والثقافة والعروبة والوحدة العربية، إضافة إلى التاريخ والاجتماع والأخلاق والعلم، والكثير من المؤلفات السياسية والتربوية تزيد على 30 كتاباً، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من المقالات، إلا أن فكرة القومية العربية والدفاع عنها كانت الهاجس الرئيسي في كل ما كتب.

بدأ الحصري في كتابة مؤلفاته بداية من الأربعينيات من القرن الماضي، وكان أخر مؤلف له" أبحاث مختارة في القومية العربية" نشره عام 1964، كما نذكر بأن مؤلفاته هذه تشمل المقالات والمحاضرات التي ألقاها في المناسبات العلمية في مختلف الأماكن وحتى الحصص الإذاعية تم جمعها ونشرها(1).

من خلال إنتاجه الفكري الذي كان معظمه يدور حول القومية نحاول الوقوف عندها بشكل عام وعند القومية العربية والعروبة واللغة والثقافة بشكل خاص.

الفرع الأول: ماهية القومية والنظريات المفسرة لها

يسمى القرن 19 بعصر القوميات نتيجة تغلغل الفكرة القومية في نفوس الأمم الأوربية والتي غيرت معالم خارطة أوربا السياسية حيث انتصر مبدأ حقوق القوميات في الميادين الدولية وكان في أوربا عدة أمم موزعة بين دول مختلفة وبالعكس من ذلك كانت عدة دول مسيطرة على أمم مختلفة وحدود الدول كانت تتقرر في أغلب الأحوال بنصوص المعاهدات التي تعقد بعد الحروب وكانت تتغير في بعض الأحوال دون حرب وقتال.

ومن المعلوم أن حروب نابليون وفتوحاته في أوائل القرن 19 قد غيرت كثيرا من معالم خارطة أوربا السياسية بحيث قضت على عدة دول قديمة وأنشأت عدة دول جديدة، وجدير بالذكر أن خارطة أوربا السياسية بعد مؤتمر فيينا(*) بعيدة كل البعد عن الاعتبارات القومية فنجد:

الألمانَ منقسمين بين عشرات الدول والدويلات المستقلة، والإيطاليين موزعين على ثمان وحدات سياسية، والبولونيين مقسمين بين ثلاث دول قوية، واليوغسلافيون خاضعين لحكم دولتين عظيمتين وبالمقابل ظلت إمبراطورية النمسا تحكم أمم مختلفة، الألمان، الايطاليين، المجر، رومان، تشيكوسلوفاكيين، بولونيون، يوغسلاف، روس.

وكانت السلطة العثمانية تضم في قسمها الأوربي وحده ست قوميات مختلفة هي: اليونان والبلغار والألبان ويوغسلافيا والأتراك والرومان. وكانت بريطانيا العظمى تسيطر على إيرلندا والجزر اليونانية، وروسيا كانت تحكم قوميات عديدة منها فنلندا وبولونيا وأوكرانيا.

بعد مؤتمر فيينا أخذت الأمور تتغير بنمو تكوين دول قومية في جميع أنحاء أوربا، فخلال سنوات 1821 و1921 توحدت ألمانيا مشَكّلة إمبراطورية وقامت مقام الدويلات الكثيرة، كما توحدت إيطاليا واستقلت بولونيا ووحدت أقطارها الثلاثة التي كانت منقسمة بين روسيا وألمانيا والنمسا وتشكلت دولة يوغسلافيا وانفصلت فنلندا عن روسيا والنرويج عن السويد وبلجيكا عن هولندا كما تكونت عدة دول جديدة مثل اليونان ورومانيا وبلغاريا وألبانيا وتشيكوسلوفاكيا. وانفصلت الجزر اليونانية عن بريطانيا العظمى وانقرضت إمبراطورية النمسا والمجر كما انقرضت السلطة العثمانية وتوزعت بلادها الأوربية بين خمس دول مختلفة، وكل هذه التبدلات والتطورات العظيمة إنما حدثت وفق مقتضيات مبدأ القوميات أي استقلال الأمم عن الدول الأجنبية التي كانت تحكمها، اتحاد الدول التي كانت مجزأة وموزعة بين عدة دول ويعكس ذلك تفكك أوصال الدول التي كانت تحكم أمما مختلفة وبعبارة أخرى تكون الدول القومية(2).

ويمكن تلخيص أسباب تكوين الدول القومية فيما يلي:

- نشوء الوعي القومي عند الأمم الأوربية.
- قيام النزاع بين الأمم المحكومة والحاكمة ونشوب الثورات والحروب بينها.

- تدخل الدول الأوربية الأخرى في هذه النزاعات إما بالتأييد بالنسبة للأمة الثائرة أو مساعدة الدول الحاكمة.

في الأخير يمكن القول أن القرن 19 فعلا هو عصر القوميات بالنسبة للشعوب الأوربية وحدها وأما القرن العشرون فهو عصر القوميات بالنسبة لسائر الشعوب أسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وذلك نتيجة تكون الدول القومية من خلال انفصالها أو استقلالها أو استرجاع سيادتها... فماذا نقصد بالقومية؟

1- مفهوم القومية:

لا يمكن إعطاء مفهوم واحد للقومية ويعود ذلك لعدم وجود اتفاق بشان هذا التعريف الموحد، كون القومية ينظر إليها من زوايا شتى وعليه جاءت تعاريف ومفاهيم تتناسب وهذه الزوايا، كما أن القومية لها البعد التاريخي والاجتماعي والنفسي والبعد السياسي، ومنه يمكن الآن سردُ بعض التعاريف التي تتماشى وهذه الأبعاد، لنقدّمَ في الأخير بتقديم تعريفًا إجرائيًا شاملًا لكل الأبعاد المكونة والتي تتداخل في تحديد وتعريف القومية.

التفسير التاريخي للقومية: يعني تلك العمليات التاريخية التي أدت إلى ارتباط الجماعة بالمكان، ويعني التفسير الاجتماعي للقومية ارتباط الفرد بكيان اجتماعي وهو المجتمع وذلك من خلال وحدة عدة مقومات أو عناصر منها اللغة والتاريخ والمصالح والأهداف والآمال المشتركة، أما التفسير النفسي فهو انفعال الفرد بانفعال جماعته من خلال العواطف والإحساس المشترك وهو ما يعبر عنه بالشعور القومي الجماعي، وعليه يعتبر العامل أو البعد النفسي من أقوى العوامل التي تميز القومية عن سائر القوميات ويعود الفضل لعالم النفس مكدوجل الذي حدد عدة شروط عند دراسته موضوع الشعور القومي، منها استمرار الجماعة وموقفها مثل الاشتراك في الحياة العامة والاتصال بالجماعات الأخرى وتأثير الثقافة المشتركة الواحدة، كوحدة العادات والتقاليد والأعراف والقيم وتنظيم المجتمع مثل توزيع الأدوار داخل المجتمع(3)، أما التفسير السياسي للقومية فيؤكد على أنها عقيدة سياسية قوامها إيمان الجماعة البشرية بان لها خصائص مشتركة تجعل لها ذاتية معينة تميزها عن باقي الجماعات الأخرى، ولها كيان مستقل وتنتظم في وحدة سياسية وتنظيمات اجتماعية وسياسية واقتصادية بما يحقق لها شخصيتها القومية(4).

أما ساطع الحصري فيرى أن القومية هي ارتباط الفرد بجماعة معينة هي الأمة وعلى ذلك يطابق الحصري بين مفهومي القومية والأمة وسنعود فيما بعد إلى مفهوم الأمة عنده لتبيان خصائصها وإبعادها ومقوماتها.

عموما فقد تطور الفكر القومي إلى أن استقر على عدة نظريات في تعريف القومية منها:

1. النظرية الألمانية في تفسير القومية والتي جعلت من وحدة اللغة الأساس في تكوين القومية وهي الأهم من غيرها وقد عبر عن هذا الفيلسوف فيختة.(*)
2. النظرية الفرنسية والتي جعلت من جهتا إرادة العيش المشترك هي أساس تكوين القومية والفيلسوف رينان(**) من الذين عبروا عن ذلك.

1- النظرية الماركسية:

التي جعلت وحدة الحياة الاقتصادية من الأمور الضرورية لتكوين القومية، ولعل ماركس وانجلز ولينين[*] أهم من دعم هذه النظرية[5].

وعلى هذا فالقومية هي حالة عقلية وشعور مشترك بالولاء نحو كيان جماعي أعلى من الولاء المحلي أو الإقليمي.

بعد استعراض هذه التعاريف والنظريات نقدم الآن التعريف الإجرائي الذي هو في الأساس نقاط التقاطع بين أبعاد وعوامل ومقومات القومية وكذا التفاسير المقدمة بشأنها، وعليه يمكن القول بان القومية، وبما أننا في حقل العلوم السياسية، هي ظاهرة سياسية ذات أبعاد تاريخية واجتماعية ونفسية تعبر عن ذاتية الجماعة تجاه الجماعات الأخرى من خلال جملة العواطف والشعور والأحاسيس المشتركة التي تجعل من الفرد ينفعل ويتفاعل بانفعال وتفاعل جماعته ويرتبط بها ويدين بالولاء السياسي لها من اجل المصلحة العامة، هذا يعني أن القومية هي توفر مجموعة خصائص أو عناصر لمجموعة بشرية تولد لدى أفرادها إحساسا مشتركا بالتجانس والتعاون والتضامن والتعاضد فيما بينهم وتميزهم عن باقي الجماعات.

الأمر المحير حقا في التعاريف والمفاهيم المختلفة للقومية هو عدم إدراج الدين كمقوم وعنصر من عناصر القومية، والأكثر من هذا أن ساطع الحصري يرفضه تماما ويرى إنه لا يدخل في خانة محددات القومية التي تكون حسبه في اللغة والتاريخ لا غير؟

ونتيجة التداخل والترابط وحتى التطابق بين القومية والأمة يمكن إدراج بعض التعاريف التبسيطية والتفسيرية لها، فهذا "ارنست باركر" يعرف الأمة . القومية . ويحدد مقوماتها بقوله:" يمكننا أن نقول أن الأمة جماعة من الناس تسكن رقعة جغرافية معينة وبالرغم من أنها يغلب أن تكون قد انحدرت من أجناس مختلفة لها ذخيرة مشتركة من الأفكار والمشاعر تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل في خلال تاريخ مشترك وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية مشتركة... وان كانت أهمية ذلك في الماضي أكثر من أهميتها في العصر الحاضر ولها في العادة لغة واحدة... ولها إرادة مشتركة ولذلك تكون أو تتجه إلى أن تكون دولة قائمة بذاتها للتعبير عن تلك الإرادة والعمل على تحقيقها[6].

بالمقابل جاء تعريف كلمة الأمة حسب الموسوعة اسم جمع يستعمل للدلالة على كمية كبيرة من الناس الذين يعيشون على قطعة من الأرض داخل حدود معينة ويخضعون لحكومة واحدة كما شرحت كلمة دولة بأنها اسم جنس يدل على جماعة من الناس الذين يعيشون معا تحت حكومة واحدة في حالة سعادة أو شقاء.

من التعاريف كذلك نجد "الأمة مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي"[7]، ولكن هل فعلا هناك ارتباط للقومية باللغة؟

2- ارتباط القومية باللغة:

لولا اللغة لما امتاز عقل الإنسان عن عقل سائر الحيوانات، أليس الإنسان حيوان اجتماعي ناطق؟؟" لما كانت اللغة بمنزلة القلب والروح من الأمة فإن الشعوب التي تتكلم لغة واحدة فيجب أن تكون دولة واحدة"[8].

إذا سلمنا هنا بهذا الشرط كون اللغة هي من تشكل الدولة، فكيف سيكون الحال في الدول عديدة اللهجات أو اللغات، أليس الوصول إلى النتائج العكسية للقومية، أي عكس السعي لتشكيل دولة يتم تفتيت الدولة القائمة؟ بالرغم من هذا فهناك دول مثل سويرا وبلجيكا تجمع أناسا مختلفي اللغات وهناك دول انفصلت بعضها عن بعض على الرغم من وحدة لغاتها مثل دول أمريكا الشمالية والجنوبية، والدول العربية؟؟

المحور الثاني

القومية والدين والوطنية في البلاد العربية حسب ساطع الحصري

عارض علماء الدين فكرة القومية معارضة شديدة حيث اعتبروها تخالف أحكام الديانة الإسلامية، فجمال الدين الأفغاني مثلا كان يعبر عن القومية بكلمة الجنسية، أما الحصري فيقول أن: "الوطنية هي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه والقومية هي حب الأمة والشعور بارتباط باطني نحوها، والوطن من حيث الأساس هو قطعة من الأرض والأمة في حقيقة الأمر إنما هي جماعة من البشر، وبناء على ذلك يمكن القول الوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض يعرف باسم الوطن والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف باسم الأمة"[9].

ولكل من الوطن والوطنية والقومية علاقة بمفهوم ثالث وهو الدولة، هذه الأخيرة تعرف بأنها هيئة سياسية وتعرف من الناحية القانونية والاجتماعية بأنها جماعة من البشر يعيشون في أرض معينة مشتركة مؤلفين هيئة سياسية ذات سيادة.

كما يرتبط مفهوم الدولة بمفهوم الوطن من جهة ومفهوم الأمة من جهة أخرى، فالدولة هي الخط الواصل بينهما كما أن الأمة قد تؤلف دولة واحدة مستقلة، علم وحكومة وجيش والأرض التي تسود عليها تلك الدولة تكون وطنا للأمة بأجمعها، في هذه الحالة تنطبق الوطنية على القومية تمام الانطباق[10].

هذا يعني أنه في حال الأمة الدولة، فالوطنية فيها هي القومية وفي أشكال أخرى يمكن للأمة أن تؤلف دولا عديدة مستقلة بذاتها وفي هذه الحالة لكل دولة وطنية خاصة بها، بينما القومية تتجاوز حدود هذه الدول وتسعى إلى ربطها برباط معنوي عام وتعمل بذلك على توليد وطنية جديدة عامة تسمو فوق جميع الوطنيات الراهنة الخاصة.

هنا لا تنطبق القومية بطبيعة الحال تمام الانطباق على الوطنية بل تختلف عنها اختلافا بينيا لأنها تتطلب تقديم مصالح الأمة العامة على مصالح الأوطان الخاصة.

مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 10، العدد 03، ص ص: 28-43، ديسمبر 2019

كما قد تكون الأمة محرومة من دولة خاصة بها وتكون تابعة لدولة أجنبية وهناك تكون القومية في معارضة شديدة للدولة الوطنية وتطالب بالاستقلال.

وقد تكون الأمة محرومة من الاستقلال حيث تكون مجزأة وموزعة بين عدة دول أجنبية عنها ومن الطبيعي أن كل دولة من هذه الدول الحاكمة تفرض على جزء من الأمة الخاضع لها وظيفتها هي وتعمل على ربط أفرادها برباط هذه الوظيفة، ولكن روح القومية في تلك الأمة المجزأة يعارض ذلك بشدة وتقاوم تلك الحالة وتعمل على الاستقلال عن جميع الدول الحاكمة وتسعى للاتحاد فيما بينها لتكوين دولة قومية جديدة تجمع أقسام الأمة المجزأة تحت لواء واحد وعلى ارض ووطن واحد.

ركزت معظم كتابات ساطع الحصري على موضوع القومية العربية فكرًا وممارسةً، إذ قلما نجد كتاباً من كتبه لم يتناول هذا الموضوع إن لم يكن موضوعه الأساسي، وهكذا دارت جل كتابات ساطع الحصري حول شرح نظريته في "القومية العربية" و"الأمة العربية" والتصدي لمعارضيها من العرب وغيرهم. وقد قام الحصري بدراسات وافية حول الفكر القومي عند مختلف الشعوب، ودرس النظريات القومية لديها، كما درس النظريات المعادية للفكر القومي بغية تفكيكها وهزيمتها من الناحية النظرية، وهذا تمهيدا لإقرار نظريته في الأمة العربية التي شغلت باله وبال من كان يتابعه، وكان الحصري من المؤمنين إيماناً قطعياً بوحدة الأمة العربية وإشراق شمسها، وكان يقول عن ذلك: "أنا أعتقد أن وحدة التاريخ واللغة ستعمل عملها في العالم العربي حتماً، وستتطور الأمور من جراء ذلك تطوراً ينتهي إلى اتحاد الأقطار العربية عاجلاً أو آجلا"، لكن نقول للحصري أن تركيزه فقط على اللغة والتاريخ من شأنه تفكيك الدول العربية القائمة وليس البحث عن الاتحاد المنشود ليس من طرفه فقط ولكن من قبل كل الشعوب العربية التواقة للوحدة والاتحاد؟؟

المحور الثالث

العناصر المباشرة وغير المباشرة التي تكون القومية وتؤلف الدولة

الفرع الأول: العناصر المباشرة:

بحث الحصري في العوامل أو العناصر المباشرة التي تتكون منها القومية، وقد اختار عاملين عدهما أساسيين هما: اللغة والتاريخ، فبينما تعتبر اللغة من أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس، إذ أن الأمم تتميز بعضها عن بعض في الدرجة الأولى بلغتها وان حياة الأمم تقوم قبل كل شيء على لغاتها، واللغة تؤدي إلى وحدة المشاعر ووحدة الآلام والآمال ووحدة الثقافة، وكل ذلك يجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء امة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى، ولكن لا وحدة الدين ولا وحدة الدولة ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية التي هي وحدة اللغة والتاريخ، كما أن الاشتراك في الرقعة الجغرافية أيضا لا يمكن أن يعتبر من مقومات الأمة الأساسية.

يرى الحصري أن اللغة روح الأمة وحياتها، فالأمة تقوم على أساس موضوعي هو اللغة، ولما كانت الأمة تحدد بلغتها، فهي تشمل جميع الناطقين بهذه اللغة، وينبع اهتمام الحصري باللغة من اهتمامه بالعوامل الناشئة عن الاجتماع البشري، فيعد اللغة محور العوامل النفسية والاجتماعية والمعبر عنها،

فالإنسان يمتاز عن الحيوان بالنطق، ويتميز الإنسان عن الإنسان باللغة التي هي وليدة الاجتماع البشري، وعامل من عوامله أيضاً، أي أن هناك علاقة جدلية بين اللغة والمجتمع، تؤثر في فكر الفرد وعواطفه معاً وتخلق نوعاً من التوحيد بينه وبين المجتمع. ربما جاءت هذه الفكرة لدى الحصري من تجربته في البلقان، حيث أدرك أن ما يفصل العرب والأتراك واليونان والبلغار عن بعضهم ليس الدين – فمعظمهم كانوا مسلمين – بل أصولهم اللغوية والثقافية المختلفة، واستخلص من قتال شعوب البلقان بين بعضها أن فوارق اللغة والثقافة أعمق بين الأمم من فوارق الدين.

أما التاريخ فهو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فإن كل أمة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتكون شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص، والمقصود بالتاريخ هنا ليس ذلك المدون بين صحائف المطبوعات والمخطوطات بل التاريخ هنا هو التاريخ الحي في النفوس الشائع في الأوطان المستولي على التقاليد(11).

يعرف الحصري التاريخ بأنه شعور الأمة وذاكرتها، وإذا ما نسيت أمة تاريخها، فإنها تخسر شعورها ووعيها لذاتها، وهي لن تستعيد وعيها القومي إلا بالعودة إلى تاريخها. كما يميز الحصري بين التاريخ بوصفه وقائع وأحداثاً وبين التاريخ الحي في النفوس والعقول، والنوع الثاني هو الذي تتذكره الأمة وهو الذي يمثل أمجاد الماضي ويخلق الأمل للمستقبل. والتاريخ المشترك أمر مهم، ولكن ليس المقصود بالوحدة التاريخية لمجموع الأمة هو الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ، وإنما الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في أهم صفحات هذا التاريخ، ما يؤدي بالضرورة إلى نسيان قسم من وقائع التاريخ التي لا تشترك فيها الأمة جميعاً. يقول الحصري في هذا المجال: "فنحن لسنا سجناء ماضينا، إلا إذا أردنا ذلك، وعلى كل أمة أن تنسى جزءاً من تاريخها، ولا تتذكر فيه إلا ما تجد فيه نفعاً لها"

هكذا وجد الحصري أن وحدة اللغة ووحدة التاريخ هما أس الأساس في تكوين أمة ما، ويقول في ذلك: "الأمة التي تنسى تاريخها، تكون قد فقدت شعورها، وأصبحت في حالة الثبات، وإن لم تفقد الحياة، وتستطيع هذه الأمة أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي والاهتمام به اهتماماً فعلياً، ولكنها إذا ما فقدت لغتها، تكون عندئذ قد فقدت الحياة ودخلت في عداد الأموات فلا يبقى سبيل إلى عودتها إلى الحياة فضلاً عن استعادتها الوعي والشعور". فاللغة في الأخير تكون روح الأمة وحياتها والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها(12).

إذا كانت اللغة من أهم مكونات القومية لماذا لم تؤلف الأمة العربية دولة عربية واحدة؟ وإذا كانت اللغة كما رأينا كذلك من عناصر القومية هل يمكن أن تؤلف الأمم الناطقة باللغة الانجليزية مثلا دولة واحدة؟ وهل مجرد الكلام بلغة مشتركة يمكن تأليف دولة نتيجة الشعور المعنوي الذي يربط الأفراد عند الحديث فيما بينهم؟

من جهة أخرى كان الألمان يقولون ومنذ أوائل القرن التاسع عشر أن أساس القومية ومعيارها الصحيح هو اللغة، فكل المتكلمين بالألمانية هم ألمان مهما كانت الدولة أو الدويلة التي ينتسبون إليها لأن الألمان كانوا عندئذ منقسمين إلى دول ودويلات كثيرة، وكانوا يتطلعون إلى الاتحاد لتكوين دولة واحدة.

إن العوامل الأساسية التي تربط الأمة حسب الحصري هي روابط روحية وفكرية، وليست مادية، لذلك لم يهتم بها اهتماما بالغا واعتبرها عوامل ثانوية ولا تؤثر في تشكل القومية بصورة مباشرة، ومن بين العوامل الثانوية التي تناولها نجد ما يلي:

الفرع الثاني: العناصر غير المباشرة

1- المصالح الاقتصادية:

رغم أهمية المصالح الاقتصادية في حياة الأفراد والشعوب، إلا أنها ليست من العناصر المشكلة للقومية، بل قد تكون في اتجاه معاكس للوحدة القومية، لان الأحاسيس القومية هي نوع من العواطف تسمو فوق الحسابات النفعية المادية، وعليه فالحياة الاقتصادية هي من نتائج تكون الآمة واستقلالها وليس من عوامل تكوينها.

2- الأصل المشترك:

المقصود بالأصل المشترك هو الوحدة العرقية للأمة، وهو محل رفض من طرف الحصري لأنه يتناقض حسبه مع الحقيقة العلمية والتاريخية، لأنه لا توجد أمة نقية صافية وهذه الفكرة هي التي ساعدت على قيام أنظمة نازية وفاشية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ويمكن العودة إلى الحضارات القديمة وفكرة المركزية الغربية والحضارة الصافية؟

3- الإرادة المشتركة:

الإرادة المشتركة نظرية فرنسية وهي من النظريات المفسرة للقومية، وبالرغم من هذا يخالفها الحصري ويرى عكس ما ترى النظرية بأن الجماعة تريد أن تكون أمة، فالإرادة ليست سببا بل هي نتيجة تنبع من القومية حسبه.

4- الدين:

لا أحد ينكر تأثير الدين على المشاعر الإنسانية ومن بينهم الحصري، فالدين أصيل في طبيعة النفس البشرية، ويحتل الحيز الأكبر في حياة الإنسان الروحية، لكن يرى الحصري أن الأديان الرئيسية، خاصة السماوية هي في حقيقتها أديان عالمية، وعليه يرى أن الدين لا يمكن أن يشكل أساسا للقومية.

تبنى الحصري دعوته من منطلق علماني استنادا إلى اللغة والتاريخ بصفتهما عناصر القومية متجاهلا بذلك الرابط الديني أو الإسلامي، والأكثر من هذا يرى بأن فكرة القومية العربية نشأت عند المفكرين المسيحيين قبل المسلمين وان المسيحيين ساهموا في بناء الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام، ومن جهة أخرى يرى الحصري أنه بالرغم من أن فكرة الوحدة الإسلامية تعد أوسع وأشمل من مفهوم الوحدة العربية إلا أنه ليس بالإمكان المناداة بالوحدة الإسلامية قبل المناداة بالوحدة العربية، لذلك نجده يؤكد أن من يعارض الوحدة العربية هو في الحقيقة معارض للوحدة الإسلامية أيضاً.

وعن علاقة الفكر القومي بالدين وما تعرَّض له من ردود ونقاشات يبيّن الحصْري وجهة نظره في فصل الدين وعدم اعتباره من مقوِّمات القومية، حيث يقول" إن التفكير في بعض الأمورِ مستقلاً عن الدين، لا يعني إنكار الدين، إنَّما يعني اعتبار تلك الأمور مما لا يدخل في نطاق الأمور الدينية، وذلك لا

يحول دون الرجوعِ إلى الدين في سائر الميادين، ولذلك كلِّه قلت ولا أزال أقول : إنَّ نَعْتَ القومية باللادينية والقوميين باللادينيين لا يتفق مع حقائق الأمور بوجه من الوجوه".

بالرغم من هذا فإن أفكاره هذه وضعته في مواجهة ومعارضة شديدة من لدن أنصار الرابطة الإسلامية، وكان يرد عليهم ويؤكد لهم بأن الدين لا يعد عاملا من عوامل تكوين الآمة العربية، كما أنكر دور الدين في تشكل القومية العربية، والأكثر من هذا أنه حذر من اعتبار الدين عاملا أساسيا، بالرغم من تأثير الإسلام على الجماهير العربية العريضة، ويتهم دعاة الرابطة الإسلامية بموقفهم حيال الوحدة العربية يجعلهم في موقع العداء لمصالح الأمة العربية، فهم بنفيهم العصبة الجنسية وبتأييدهم للعصبة الدينية يسهمون في تعميق النزاع بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الطوائف. فكيف إذن تنعكس القومية وعناصرها على فكرة المواطنة خاصة في وقتنا الحالي أين زاد التركيز على حق المواطنة ونبد الخلافات والفروقات والدعوة للعيش معا والعيش مع الاختلاف والاستعداد لإنتاج الاختلاف؟

المحور الرابع

انعكاس عناصر القومية (الأمة) على المواطنة

المواطنة كلمة مشتقة من مصطلح الوطن، والذي يعتبر المكان الذي يعيش فيه الإنسان، أما في اليونان القديمة فتصنف بأنها حقٌ من حقوق الإنسان المدنية، وهذا ما أدى إلى اشتقاق اسمها في اليونانية، والإنجليزية، والفرنسية من كلمة City أي المدينة، وتعرف المواطنة اصطلاحاً بأنها صفة يتميز بها الأفراد الذين يعيشون على أرضٍ دولةٍ ما، وبموجبها يحصلون على العديد من الامتيازات بصفتهم مواطنين في دولتهم، فهي تتضمن انتماء المواطن لوطنه النابع من حبه له، وخدمته له في كافة الأوقات والأحيان واحترام المواطنين الآخرين الذين يعيشون معه على الأرض ذاتها، والذين يتقاسم وإياهم الغذاء، والشراب، والماضي، والحاضر، والمستقبل.

يعد الهدف من تحقيق المواطنة الوصول إلى الاستقرار والشعور بالطمأنينة وتوفر السلامة العامة لحياة الإنسان واستقرارها، والمواطنة في حقيقتها ومن خلال منظومة قيمها سلوكا تطوعيا حضاريا يقوم به الفرد لصالح وطنه أو المكان الذي يعيش فيه أو حتى المنظمة التي يعمل بها، معنى هذا أنها التزام عقدي أخلاقي حضاري، فالمواطنة مبنية على قيم ومبادئ الإنسان السوي تجاه وطنه ومجتمعه، حيث تترجم المواطنة لديه من خلال سلوكه الشخصي وممارسته اليومية في ضميره وحياته، وكون منظومة هذه القيم هي الوسيلة الوحيدة والملائمة لقيام الروابط المتعددة بين الناس، كما أنها المحرك للحياة الإنسانية، فتتدحرج الحياة بين القيم الايجابية والسلبية، فيسود العطاء والتطور في حال تغلبت القيم الايجابية وتستمر عندئذ حياة الأمم والشعوب، ويكون العكس في حال تغلب القيم السلبية حيث يسود التخلف واللااستقرار.

ولقد شكلت القيم على مر العصور المرجع والمحور الذي ينظم سلوك الأفراد والمجتمعات والدولة كما أنها العامل المهم الذي يسهم في تماسك المجتمع والمحافظة على هويته واستقراره وتطوره...

وكان ظهور وكان ظهور مصطلح المواطنة في دائرة الحضارة الغربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي مع رسوخ فكرة الدولة . القومية . وانتشار العلمانية بعد الثورة الفرنسية 1789، وكان الإغريق القدماء قد استخدموا هذا المصطلح الذي حمل في مفهومهم وصفا حقوقيا وسياسيا مرتبطا بالمقام الجغرافي والمدينة الدولة (طبقة المواطنين الأحرار الذين ينحدرون من أبوين أثينين ويتمتعون بكل الحقوق السياسية والمدنية ومنها حق ممارسة السلطة، عكس الطبقتين الأخيرتين، الأجانب والعبيد الذين لا يتمتعون بهذه الحقوق)، كما عرف مصطلح المواطنة في حضارات وأقوام أخرى على غرار الفينيقيين والكنعانيين...

يتبلور مفهوم المواطنة من خلال حركة المجتمع وتطوراته وتحولاته التاريخية، ومنه تسهم المواطنة في تشكيل شخصية المواطن، وتعمل على تبادل الحاجات والمنافع والمسؤوليات ضمن موروث اجتماعي مشترك من المبادئ والقيم والمعتقدات والأخلاق والسلوك والعادات والتقاليد، ويمنحها خصائص تميزها عن غيرها[13].

تاريخيا يمكن تحديد ثلاثة تحولات أرست مبادئ المواطنة في الدولة القومية الديمقراطية المعاصرة، وهي تكوين الدولة القومية، والمشاركة السياسية، وإرساء حكم القانون وإقامة دولة المؤسسات، وقد تم إرساء مبدأ المواطنة مع تشكل الدولة القومية الأوربية الحديثة، حيث نشأت فكرة المواطن الذي يمتلك الحقوق غير القابلة للتنازل والاعتداء والتي أكد عليها في البداية الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان بعد الثورة الفرنسية عام 1789، ثم تأكدت من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948.

لقد قطعت "و م إ" الشوط الأبعد في تطوير مجتمع المواطنين التعددي، كما تطورت البلد للمهاجرين يلتقي فيه الناس من عدة عرق أو مجموعات عرقية أو لغوية أو دينية من طول العالم وعرضه في جماعة مجتمعية ذات حقوق متساوية تشمل المواطنين جميعا بالمعنى الحقيقي للمواطنة[14].

ويرتبط مفهوم المواطنة بهوية الفرد التي تعني تلك المواقف التي تشكل الجوهر العام لجميع الأفكار والتصرفات، وتلك هي الوحدة التي تميز الفرد عن الأفراد الآخرين وذلك هو الفرق ويمكن أن تنسب الهوية إلى الشخص نفسه أو إلى عدة أشخاص آخرين، ويمكن للطرفين أن يتلاقيا ويفترقا، وكلما ازداد انخراط الفرد في التفاعل الداخلي مع الآخرين، كلما كانت علاقاتهم معا، في سياق ذلك، أكثر توازنا، وازدادت بالتالي فرص التقارب بين السمات المشتركة لخصائص الهوية، ويمكن اعتبار هوية الفرد مكرسة أو مجددة إلى هذا الحد أو ذاك، بقدر ما تنتج من مساحة للتغيير في التفكير والسلوك، ويمكن أن تبقى ثابتة لفترة طويلة، كما يمكن أن تتغير بشكل سريع جدا[15].

أما الهوية الجمعية فهي تخص جوهر المواقف التي تتمتع بها جماعة بشكل عام من حيث طريقة التفكير والسلوك، والتي تميزها عن الجماعات الأخرى... والناس يكيفون أنفسهم وفقا لمستوى التفاعلات وتوازنها[16].

لذلك تعد المواطنة تلك الرابطة بين الفرد وجماعة ما تقوم على انتماء لدائرة ما أو أكثر من دائرة، والجنسية هي تعريف قانوني عن المواطنة، وقد عرفتها موسوعة كولير بأنها: "أكثر أشكال العضوية

في جماعة سياسة اكتمالا"، فالمواطن مدين بالولاء لدولته... وهو يملك حقوق مدنية وسياسية كاملة، لا يتمتع بها الأجنبي، وهكذا تبرز العلاقة بين المواطنة والجنسية[17].

وهناك العديد من التساؤلات طرحت حول واقع قضية المواطنة في عالمنا المعاصر في الدوائر الثلاث: دائرة الدولة الواحدة، ودائرة الحضارة الواحدة ودائرة العالم الواحد، ومن بين التساؤلات نجد:

هل يكون الأصل في المساواة التامة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات في الدولة الواحدة؟ ألا ينبغي أن تأخذ المواطنة في الاعتبار حقيقة الانتماء لدائرة حضارية واحدة؟ وكيف؟

هل يمكن الارتكاز على مفهوم المواطنة لتنظيم العلاقة بين المجتمعات في عالمنا وتطبيق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟ كيف يمكن التوفيق بين النظرة القطرية الضيقة والنظرة الدولية الرحبة؟

ثم حول معيار المواطنة والجنسية، أهو عنصر الدم أو عنصر الأصل أم عنصر الدين أم مجموعة العناصر الثلاثة؟ وحول طابع الجنسية أقانوني أم سياسي؟ وحول تنويع درجات المواطنة والجنسية أهي تأسيسية أم أصلية أم مكتسبة[18]؟

كان الشيخ محمد عبده يرى الوطنية بأنها عبارة عن تعاون أهل الوطن الواحد لمختلفي الأديان في كل ما فيه عمرانه وإصلاح حكومته، وأن الإسلام لا يعارض في شيء ذلك كما يبين شرعه في العدل والمساواة، وجمال الدين الأفغاني كان يرشد تلاميذه إلى وجوب اتحاد أهل كل قطر وكان حزبه مؤلفا من أذكياء الملل المختلفة[19].

وعلى العموم، تتكون المواطنة من ثلاثة عناصر أساسية، وهي:

1- العنصر المدني:

ويتضمن الحرية الفردية، وحرية التعبير والاعتقاد والإيمان، وحق التملك، والحق في العدالة، وتحقيق العنصر المدني في المواطنة في المؤسسات القضائية.

2- العنصر السياسي:

ويعني الحق في المشاركة في الحياة السياسية بوصف المواطن عنصراً فاعلاً في السلطة السياسية، من خلال البرلمان، والمؤسسات السياسية الأخرى

3- العنصر الاجتماعي:

ويعني تمتع المواطن بخدمات الرفاهية الاجتماعية وإشباع حقوقه الاقتصادية، والتي تتضمن التعليم، وحسن الرعاية الصحية،

كما أن للمواطنة شروط ومقومات أساسية لا غنى عنها في اكتمال وجود المواطنة، ويُشار إليها كما يلي:

- يعد اكتمال نمو الدولة ذاتها بُعداً أساسياً من أبعاد نمو المواطنة، ويتحدد نمو الدولة بامتلاكها لثقافة تلك الدولة، التي تؤكد على المشاركة والمساواة أمام القانون.
- ارتباط المواطنة بالديمقراطية، وذلك بوصف أن الديمقراطية هي الحاضنة الأولى لمبدأ المواطنة.
- تمتع المواطنين، بكافة الحقوق السياسية والقانونية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وهذا يعني قيام عقد اجتماعي يؤكد على أن المواطنة في الأمة، هي مصدر كل الحقوق والواجبات،

- يُعد الفرد البالغ العاقل أحد المكونات الأساسية للمواطنة، وذلك بوصف أن هذا الفرد يخضع لعملية التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية، التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المختلفة، بإشراف الدولة وتساعد عملية التنشئة الفرد على أن يستوعب أهداف الجماعة وتراثها، ويعبّر عن مصالحها، ويتعايش مع الجماعة .

- يُعد إشباع الحاجات الأساسية للبشر، في أبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، أحد المقومات الرئيسية للمواطنة.

المواطنة عموما هي المكان الذي يستقر فيه الفرد بشكل ثابت ويحمل جنسيته ويكون مشاركا في الحكم ويخضع للقوانين الصادرة عنها، مع تمتع الفرد وبشكل متساو دون أي نوع من التمييز، كاللون أو اللغة أو الدين مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه الدولة التي ينتسب إليها. أليست المواطنة هي الانتماء والانتساب إلى وطن، الرقعة الجغرافية، وليس لأي شيء أخر ؟

المحور الخامس

نقد فكرة القومية عند الحصري

لقيت أفكار الحصري خاصة تلك المتعلقة بالقومية العربية وإنكار الدين في تشكلها العديد من الانتقادات وردود الأفعال المتباينة، فإذا كان الكل يجمع على أن الحصري يعد وبدون منازع فيلسوف القومية وأحد ابرز منظريها، بالمقابل هناك من يصفه بالعلماني، والداعي إلى الفرقة والتشتت ومفسد أخلاق المجتمع العربي من خلال المناصب التي شغلها ومنها دائرة المعارف والمناهج التربوية التي وضعها، ويمكن إجمال أهم الانتقادات الموجه له في ما يلي:

- يعتبره القوميون فيلسوف القومية العربية، وابرز دعاة الفكر القومي العلماني وهو العقل المفكر لفتنة القومية التي شتت الأمة العربية بعدما كانت امة واحدة ﴿**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾الآية 92، من سورة الأنبياء.

- يقال إنه أفسد مناهج التعليم السورية بعد الاستقلال لما أراد إصلاحها، حتى أنه هناك من يصفه بأنه عاش ومات وهو لا يحسن العربية لا نطقا ولا كتابة[20]، بالرغم من العدد الهائل من المؤلفات والكتابات؟؟

- كان الفكر الحصري حسب منتقديه يدعو إلى جاهلية جديدة باسم القومية العربية.

- يهتم بأنه تأثر بالنظرية الألمانية في تفسير القومية والتي تعتمد على اللغة والتاريخ، وكان أساتذته من اليهود (ماكس مولو، ماكس نوردو)، وكانا يقصدان من وراء نظريتهما إحياء القومية اليهودية[21].

- الرابطة القومية أقوى وأعم من الرابطة الإسلامية حسب الحصري، وإن الوحدة الإسلامية باتت حلما وخيلاً وأن الدين على الآمة العربية، كما كان همه بعث أمجاد العرب قبل الإسلام، ويدعوا إلى دراسة بعض الأمم البادئة التي أهلكها الله بكفرها مثل الآراميين والعبرانيين وغيرهم[22].

- لا يرى الحصري ضرورةَ إقحام الدين في السياسة ، ويجب حسبه أن تُفسر النصوص الشرعية وتنفذ حسب ظروف الزمان والمكان " وما كان يصلح للناس في القرن الأول لا يصلح لغيرهم في القرن الرابع عشر، وما يناسبها اليوم، نحن معشر العرب، هو أن نعلق هذه النصوص وغيرها"[24].

الخاتمة:

من الملاحظات التي يمكن إدراجها هنا ونحن في القرن الواحد والعشرون هي أن المفاهيم التي قدمها الحصري كانت في الحقيقة واقعية لأنه عاش الشتات والتشرذم الذي لحق بالأمم وبالتالي الدول وحاول تقديم رؤيته للواقع، كما نجد أنه تأثر كثيرا بدراسته للقوميات الغربية وحاول إسقاط حالها على الدول العربية، وإنّ عنصري اللغة والتاريخ الأساسين في تشكيل الدولة القومية حسبه لدليل على ذلك، كما لا يخفى عنا أن بعض الدول الغربية في وقتنا الحالي وهي تقوم بتشجيع الهجرة الانتقائية تركز على حسن التحكم في اللغة لمن يريد الهجرة والاستقرار في هذه البلدان؟؟

الهوامش:

(1) نورالدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، ط4، الجزائر: دار الأمة للنشر والتوزيع، 2017، ص 436.

(*) مؤتمر فيينا عبارة عن مؤتمر لسفراء الدول الأوروبية، انعقد في الفترة من سبتمبر 1814 إلى جوان 1815 بهدف تسوية العديد من القضايا الناتجة عن حروب الثورة الفرنسية أو حروب نابليون وتفكك الإمبراطورية الرومانية المقدسة أسفر هذا المؤتمر عن إعادة رسم الخريطة السياسية للقارة الأوربية .

(2) ساطع الحصري، ما هي القومية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، طبعة خاصة، 1985، ص 12.

(3) هشام محمود الاقداحي، معالم الدولة القومية الحديثة، رؤية معاصرة ، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2008، ص 30.

(4) هشام محمود الاقداحي، المرجع السابق الذكر، ص 30.

(*) فيختة أو فيشته (1762 . 1814) فيلسوف ألماني، يعد من أبرز مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة بالمثالية الألمانية.

(**) رينان من مواليد 1823 . 1892، مؤرخ وكاتب فرنسي، اشتهر بترجمته ليسوع، حيث دعا فيه لنقد المصادر الدينية نقدا تاريخيا علميا، وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس، مما جعله يدخل في معارضة مع الكنيسة الكاثوليكية، اشتهر كذاك بتعريف للقوم الذي يقول إن الانتماء إلى قوم ليس مسالة عرق بل مسالة إرادة... ولا يزال هذا التعريف يلعب دورا كبيرا في تصور الفرنسيين لشعبهم وهويتهم، لذلك أصبح رينان رمزا من رموز فرنسا الجمهورية العلمانية القومية.

(*) لينين: اسمه الكامل فلاديمير أوليانوف إليتش المعروف بـ لينين من مواليد 1870 . 1924، روسي ثوري ماركسي، كان قائدا للحزب البلشفي والثورة البلشفية ، كما أسس المذهب اللينيني السياسي رافعا شعاره: الأرض والخبز والسلام.

(5) هشام محمود الاقداحي، المرجع السابق الذكر، ص 31.

(6) الحصري، حول الوحدة الثقافية العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ص 35.

(7) الحصري، ما هي القومية، المرجع السابق الذكر، ص 36.

(8) الحصري، ما هي القومية، المرجع السابق الذكر، ص 48.

(9) ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، القاهرة: دار المعارف، 1964، ص 28.

(10) نفس المرجع، ص 29.

(11) ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، نفس المرجع السابق، ص 44.

(12) ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، نفس المرجع السابق، ص 249.

(13) علي محمد محمد الصلاب، المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة، د د ن ، 2014، ص ص 14 . 24.

(14) ريتشارد مينش، الأمة والمواطنة في عصر العولمة، (تر: عباس عباس)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2009، ص 98.

(15) ريتشارد مينش، المرجع السابق الذكر، ص 280.

[16] ريتشارد مينش، المرجع السابق الذكر، ص 281.

[17] المجمع المالكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت عمان)، المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر: صور الآخر ومعنى المواطنة، 1998، ص 57.

[18] المجمع المالكي لبحوث الحضارة الإسلامية، المرجع السابق الذكر، ص 59.

[19] المجمع المالكي لبحوث الحضارة الإسلامية، المرجع السابق الذكر، ص 61.

[20] علي الطنطاوي، ذكريات علي الطنطاوي، ج1، ط2، جدة: دار المنارة للنشر، 1989، ص ص65 ، 66.

[21] أنور الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1974، ص 206.

[22] منير محمد نجيب، الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ط2، عمان: مكتبة المنار، 1403هـ، ص ص9 ، 29 .

[24] ساطع الحصري، العروبة أولاً، المرجع السابق الذكر، ص 106.